

محاضرات في مقياس سوسيولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

عنوان الماستر: علم اجتماع التربية اسم الوحدة: أساسية الرصيد: 5

المعامل: 2

الحاضرة السادسة: قراءات سوسيولوجية في المنهاج الخفي وتطبيقاته التربوية

تمهيد:

يُعبّر البحث في موضوع المنهاج الخفي عن اتجاه فكري وتربوي عالمي حديث، غير أن الدراسات في الموضوع قليلة نسبياً باللغة العربية، لذلك فالبحث فيه مطلب تملّيه ضرورات أكاديمية وعلمية بغية توضيح المفهوم وأبعاده وإسقاطاته العلمية في الحقل التربوي.

ولعل أول من استخدم مصطلح المنهاج الخفي هو فيليب جاكسون في إحدى محاضراته، وكان الهدف من استخدامه هو الكشف عن الدور الخفي أو المستتر الذي تقوم من خلاله المدرسة بغرس القيم والسلوك لدى التلاميذ داخل الفصل الدراسي دون تخطيط معلن.

لكن يجب أن نقر إن هناك اختلافاً في تحديد المفهوم بل وفي صياغته وحتى في ترجمته، اختلاف يعود إلى تنوع الثقافات التي يناقش فيها، كما يمكن أن يُعزى إلى الاختلاف في المنطلقات الثقافية والاجتماعية والفلسفية والبحثية والنفسية التي ينتمي إليها الباحثون.

محاضرات في مقياس سوسولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

أولاً. المنهاج الخفي والمفاهيم المرتبطة به:

هو مصطلح جديد قديم لأنه موجود منذ بدء التعليم والعملية التعليمية، مصطلح جديد لأنه لم يتم استخدامه الا مؤخراً لذلك نجد العديد من التعاريف التي أطلقها التربويون في هذا المجال مختلفة اختلاف انتماءاتهم الفكرية والثقافية. ولا يوجد اتفاق بين التربويين على تعريف دقيق وموحد للمنهاج الخفي غير أن هناك اتفاقاً ضمناً حول المفهوم الذي سيتضح لنا من خلال التعريفات التالية.

لكن قبل الخوض في مفهوم المنهاج الخفي يجب علينا في البداية أن نعرّف المنهاج المدرسي العام، وعليه يجب أن نميز بين مفهومين أساسيين متداخلين جداً فيما بينهما من حيث البنية والتوظيف والدلالة، هما المنهاج curriculum والمنهج la methode، وكثيراً ما يتم تداولهما في الدراسات العربية كمفهوم واحد، والواقع أنهما مختلفين تماماً، فالمنهج يعني الطريقة العلمية في البحث والتدبر والنظر، وترمز إلى مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كما تعني كلمة منهج الخطوات المنهجية والعلمية التي يتبعها الباحث في إعداد دراسة علمية معينة مهما كان الحقل البحثي الذي تنتمي إليه.

أما كلمة منهاج فهي ترمز إلى سياق تعليمي أو إلى برنامج دراسي متكامل الفعاليات والنشاطات والمواد الدراسية في مؤسسة تعليمية، ويرمز المنهاج في أكثر تعريفاته عمومية إلى منظومة من المعارف والخبرات والتجارب والمعايير الفكرية واليدوية.¹

عرّف **ايفان اليتش** المنهاج الخفي بأنه المنهاج المتكون من السلوك والقيم والمعاني التي تدرس للتلاميذ بواسطة المدرس أو المَدرسة من غير تخطيط، كما عرفه

¹ علي اسعد وطفة: الرسائل الصامتة في المدرسة قراءة ايديولوجية في الزطيفة الطبقيّة للمنهاج الخفي، المجلة التربوية، العدد 94، مارس 2010، الكويت.

محاضرات في مقياس سوسيوولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

أيضا بأنه مخرجات المدرسة غير الأكاديمية أو بعبارة أخرى هو ما يتلقاها التلميذ في المدرسة خارجا عن إرادتها، ويؤيد رائد هذا الطرح التربوي جاكسون والذي يقول أن المنهاج الخفي يأتي بعد المنهاج الرسمي من حيث الأهمية.²

كما أن هناك تيارا من التربويين عرفوا المنهاج الخفي بأنه الخطوات التي تتم في المدرسة والتي تشمل القيم المكتسبة التي يتعلمها التلاميذ بدون تخطيط وان المنهاج الخفي هو ما يتعلمه التلميذ كنتيجة للتفاعل الاجتماعي داخل الفصل الدراسي.

أما التيار الثالث فقد جعل من التنظيمات واللوائح والقواعد العامة التي تنظم الحياة المدرسية من تعليمات تصدرها الإدارة المدرسية أو قرارات وزارية ومناشير وتشريع مدرسي محور تحليلاته، من خلال رصد العلاقات العامة بين مختلف الفاعلين التربويين، وهنا نجد أنفسنا أمام حياة مدرسية وتفاعل اجتماعي انعكاس لتلك القرارات التي في الواقع تعكس الفلسفة التربوية التي يتبناها أي نظام ومن ثم التوجهات السياسية لأي بلد.

ويذكر اندرسون أن هناك ثلاث طرق تاريخية لعرض مصطلح المنهاج الخفي،

الذي ظهر خلال الخمسين سنة الماضية:³

1. ترسيخ أفكار معينة في الأذهان للمحافظة على الحقوق والمعرفة والممارسة

الخاصة جنبا إلى جنب مع تدريس المنهاج الرسمي.

2. استخدام هذا المصطلح كدلالة على التأثير الزمني والمكاني، حيثما تجري

العملية التعليمية فالبيئة تتحكم في النشاطات والتعلم المترافقين.

² فائزة العزاوي: المنهاج الخفي فلسفته وتطبيقاته التربوية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 19 جامعة بغداد العراق، www.iasj.net

3 اكرم عبد القادر ابواسماعيل: المنهاج الخفي في التعليم الالكتروني، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، العدد 13 جامعة الشلف،

محاضرات في مقياس سوسيلوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

3. عمليات التنشئة الاجتماعية التي يواجهها التلاميذ خلال مدة تلقينهم للتعليم تمكنهم من مجارة المتطلبات المؤسسية لأنظمة التعليم الرسمية.

إذن المنهاج الخفي يقصد به تلك الخبرات غير المخططة وغير المقصودة التي يتعرض لها التلاميذ ويمرون بها دون استعداد فيتعلمون أشياء لا تتضمنها أهداف المنهاج.

كما يعكس كل الخبرات والاتجاهات والقيم التي يكتسبها المتعلم خارج إطار المنهاج المعلن ولكن داخل بيئة المدرسة. فمثلاً يتعلم الطالب قيمة الأمانة من خلال الموضوعات التي يدرسها في مقررات القراءة والنصوص والحديث وما إلى ذلك.

إن المنهاج الخفي حقيقة تربوية لا نستطيع إغفالها أو إلغاء تأثيرها الإيجابي والسلبى في سلوكيات المتعلمين، ولهذا ينبغي توجيه هذا المنهاج توجيهاً سليماً لتكون آثاره وثماره نتائج إيجابية تظهر في سلوكيات المتعلمين.

وعملية تحديد المنهاج الخفي والتحكم فيه عملية في غاية الصعوبة، إذ كيف يتم لهم ضبط شيء لا يرى ولا يتوقع ولا تعرف طبيعته، ولا يمكن السيطرة عليه بالأنظمة والقوانين أو الكتب والتعليمات.

وعلى ذلك فالمنهاج الخفي له خطورته وتكمن خطورته في :

- أنه لا يمكن التحكم فيه ولا تحديد أسسه أو أصوله .
- قد يكون هناك تناقضا بينه وبين المنهاج الرسمي .
- قد يعمل على إضعاف قيمة المنهاج الرسمي .
- قد يحدث نوعا من الصراع بين المنهاج الرسمي وبينه .

محاضرات في مقياس سوسيوولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

ومما تقدم يمكن أن نذكر عدة مصطلحات لمفهوم واحد اختلفت بين البيئة التي أنتجتها والترجمة التي عملت على إدخالها لحقول تربوية مختلفة عنها:

المنهاج الخفي hidden curriculum، المنهاج غير المكتوب unwritten curriculum
المنهاج الصامت silent curriculum، المنهاج المغطى the covert curriculum
المنهاج الكامن the latent curriculum، المنهاج غير المرئي the invisible curriculum
المنهاج غير المدروس unstudied curriculum، المنهاج غير الرسمي
unofficial curriculum المنهاج غير النظامي Informal curriculum

ثانياً. المنهاج الخفي في إطار المدرسة:

من الممكن تحديد بعض المظاهر التي تمثل المنهاج الخفي في البيئة المدرسية

ومنها:⁴

- السلوك الشخصي للمعلم، وعلاقته بالتلاميذ، وأيضاً بمدير المدرسة وبالمعلمين الآخرين... فيتعلم التلميذ من طريقة تعامل المعلم معه الكثير من أنماط السلوك، فقد يتعلم احترام الآخرين وتقديرهم إذا عامله المعلم باحترام وتقدير، وقد يتعلم السخرية من الآخرين وعدم تقديرهم إذا عامله المعلم بسخرية وازدراء.
- يتعلم التلميذ التسبب وعدم الالتزام بالقوانين والأخلاق والنظم إذا كان المعلم متساهلاً مع التلاميذ ولا يكثر بأخطائهم.
- يتعلم التلاميذ الإهمال لآراء الآخرين ومقاطعهم إذا كان المعلم يقاطعهم ولا يترك لهم حرية في التعبير عن آرائهم، وفي المقابل قد يتعلم حسن الإصغاء واحترام آراء الآخرين إذا كان المعلم يصغي لتلاميذه ويترك لهم حرية التعبير

4 د/ أماني حامد مرغني - كلية التربية - جامعة أسيوط - جمهورية مصر العربية كلية

التربية للمعلمات - جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية.

محاضرات في مقياس سوسيوولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

عن أفكارهم وآرائهم وقد يتعلم التعالي والتكبر إذا عامله المعلم بهذا وقد يتعلم التواضع إذا عومل به.

- طريقة تناول المناهج المكتوبة لبعض المسائل قد تكون ضعيفة أو خاطئة فتؤدي إلى عكس المراد. فقد يقرأ الطالب من بين السطور معاني لا يقصدها المنهاج المكتوب.

- العلاقة بين التلميذ وزملائه وتفاعله معهم وما يمكن أن يتعلمه منهم من خلال التقليد أو التأثير والإقناع. فقد يتعلم التلميذ من زملائه في الفصل عادات طيبة وإيجابية كالنظافة وحب التعلم والصدق والأمانة واحترام الآخرين... إلخ إذا كان زملاؤه ملتزمين بهذه السمات وقد يتعلم الغش والكذب واللامبالاة والسخرية من الآخرين إذا كان زملاؤه هكذا.

- الأنشطة التي يشترك فيها التلميذ في المدرسة تعلمه الثقة بالنفس والتعاون وحب العمل وتنظيم الوقت حسب طبيعة النشاط والدور الذي يلعبه التلميذ فيه.

ثالثاً. أهمية المنهاج الخفي:

يعتقد كثير من التربويين أن المنهاج الخفي ينبغي أن يلعب دوراً رئيساً في العملية التربوية ويؤكد تلك الأهمية **تشاينج** الذي أطلق عليه "**الجديد الميت**" وهو يقصد بهذا - رغم حداثة الموضوع - انه لم يعط الدور الذي ينبغي من الدراسة والبحث والتنظير من قبل الباحثين وأساتذة الجامعات التربويين وهو يطالب بمزيد من البحث والاهتمام لأهمية هذا المنهاج في العملية التربوية.

وعلى الرغم من اعتراف التربويين بهذا النوع من المناهج إلا أن تضميناته وتطبيقاته تبدو قليلة رغم أهميتها. إن أهمية هذا النوع من المناهج

محاضرات في مقياس سوسيوولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

لا يمكن تجاهلها أو الشك فيها ولكن هذه الأهمية تبقى مجرد أحلام وأمني مالم تترجم إلى واقع عملي مدروس.

أن هذا النوع بحاجة إلى التطبيق والتفعيل داخل المدرسة أكثر من مجرد التنظير والتصنيف، ولكن العقبة الأساسية هي انه حتى الآن لا توجد دراسات جادة في تطبيقات المنهاج الخفي داخل المدرسة زيادة على ذلك أن غموض أو حداثة هذا المصطلح لدى معظم المدرسين ساهم في عدم تضمين هذا المنهاج في دروسهم داخل الفصل الدراسي.⁵

لقد أشار كل من بورديو وباسرون الى أهمية دراسة الغامض والعفوي والعشوائي في العلاقات التربوية القائمة في المدرسة باعتبارها رموزا لمنهجية خفية في داخل المؤسسة المدرسية، وهذا يعني أن المنهاج الخفي ليس خفيا الا لمن لا يريد أن يرى، والشيء الذي يؤدي الى التشويش والغموض هو الاعتقاد أن دراسة ما هو خفي مخجل ومعيب وسلبى وأن المعنيين بالعملية التربوية يرغبون في نقل هذا الجانب وتأصيله في عملهم التربوي.⁶

رابعا. الوظيفة الإيديولوجية للمنهج الخفي:

لا زال قائما في الوعي العام أن المدرسة المؤسسة الوحيدة التي تعمل على النهوض بالأطفال وتنميتهم روحيا وعلميا وأخلاقيا، وقد تكون هذه الفكرة أكثر دهاءا وأكبر مغالطة إيديولوجية في تاريخ التربية، إذ مهما عظم الدور

⁵ فائزة العزاوي: مرجع سابق.

⁶ علي اسعد وطفة: المنهاج الخفي في المدرسة، هل هو خفي حقاً، مجلة نقد وتنوير، مارس

www.edusocio.net 2015

محاضرات في مقياس سوسولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

التربوي الذي تؤديه المدرسة لا يجب أن يحجب علينا الطابع الإشكالي للوظيفة التطبيقية والإيديولوجية للمدرسة.⁷

فهي تعمل على تأصيل التمييز الاجتماعي والفرز الطبقي بمعايير إيديولوجية وتربوية محكمة. حيث تأخذ في جل ممارساتها وفعاليتها التربوية طابعا طبقيًا يتصف بالدهاء الإيديولوجي الذي يرتسم في منظومة أنشطة وفعاليات صامتة تعمل على ترويض المدرسة لتكون أكثر تجاوبا مع تطلعات الطبقات الرأسمالية.

فالمدرسة تطلق الحياة التربوية وتفجر طاقات التلاميذ وفقا لهامش الحرية الذي تسمح به احتياجات التقدم الرأسمالي، أنها تطلق العقل والمواهب والقدرات بمعايير برجوازية رأسمالية، وهي بالتالي تؤدي إلى حراك اجتماعي أفضل، لكن هذا الحراك الاجتماعي يكون دائما بقدر ما تسمح به متطلبات الحياة الاجتماعية للمجتمع الرأسمالي.

لا يمكن للخفايا المدرسية أن تكون خفية بالصدفة، فالخفي خفي لأنه يراد له أن يكون كذلك، وفقا لغايات مرسومة وأهداف معلومة، وفقا لهذا التصور فان ما يدور في المدرسة يتميز بالتدبير والتنظيم ويرتسم في صورة مخططات تربوية رأسمالية في جوهرها تتسم بالعبقرية والذكاء.⁸

فالخفي خفي بإرادة فاعل، فهناك بالضرورة إرادة اجتماعية تعمل على بناء التنظيمات الخفية والتخطيط لها في المدرسة وفي مختلف المؤسسات التربوية وذلك لأغراض مجتمعية سياسية واجتماعية طبقية، ومن البديهي أن ينتسب المنهاج الخفي إلى طبقة مهيمنة تملك القرار السياسي والاقتصادي

⁷ علي اسعد وطفة الرسائل الصامتة
⁸ المرجع السابق.

محاضرات في مقياس سوسيوولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

والاجتماعي، وهي الطبقة التي تخطط وترتب وتبني وتحدد غايات التربية ومراميها بما يحفظ بقاءها ويراعي مصالحها.

ويضيف اسعد وطفة في هذا الصدد: التعليم كان وما زال يوجه طبقيا عبر التاريخ، ولم يكن يوما خارج دائرة الايدولوجيا والسياسة، بل كان وما زال يشكل نظاما ايدولوجيا وضع في خدمة الدولة والطبقة المهيمنة ايدولوجيا، ومن هنا يمكن القول أن ما يجري في المؤسسات التربوية يجري بإرادة طبقة مهيمنة سياسيا، وبما أن التعليم محكوم بإرادة طبقة سياسية مهيمنة فان المنهاج الخفي يمثل عصب التنظيم الطبقي في المدرسة، وعليه فان كل ما يجري في المدرسة من تنظيمات خفية يعوذ بالضرورة إلى ممارسات طبقية وايدولوجية.⁹

وتاريخ المدرسة الجزائرية يحكي هيمنة السياسي على التربوي، سواء ما تعلق في الاصلاحات الجذرية أو الجزئية، بل وحتى الكثير من المشكلات التربوية تحل بقرارات سياسية، ولعل ابعد أوجه الهيمنة تظهر في التأثير في نتائج الامتحانات الرسمية لتبرير الفشل، أو لشراء السلم الاجتماعي، لقد افرزت التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري مطلع الالفية الثالثة واقعا تربويا موبوءا بقرارات سياسية لا تعطي للواقع التربوي ونظرياته أهمية، فوجد التربويون أنفسهم أمام مدرسة يجهلون بها بكل مكوناتها لأن الإصلاحات كانت فوقية.

ومع أننا لا ننكر التحسينات التي أدخلت على مختلف المنتسبين لسلك التربية والقوانين الأساسية والزيادات التي استفادوا منها. إلا أنها بقيت من دون فعالية وزادت من حدة الإضرابات والفساد الذي طال المؤسسة التربوية، الذي

⁹ المرجع نفسه

محاضرات في مقياس سوسيولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

يعد امتدادا للفساد السياسي والاقتصادي. وظاهر للعيان الغش المتقشي والذي شجعت عليه عوامل عدة؛ سواء ما تعلق بمفهوم النجاح المجتمعي أو ما تعلق بالرغبة في تحقيق ذلك النجاح بالنسبة للتلميذ والمعلم ومدير المدرسة إلى أن نصل إلى المسئول على القطاع، فهذه السياسة نقلت الغش من مستوى غير رسمي يدين المجتمع إلى سلوك تتصالح معه الإدارة التربوية بالتعاضى والتشجيع عليه، فالغش التربوي سيغدو غشا تجاريا واقتصاديا وطبيا و.....

خامسا. مكانة المنهاج الخفي في السياسات التربوية¹⁰:

يميز الباحثون في مجال التربية بين منظومتين من الأهداف العامة في السياسات التربوية؛ فهناك أهداف رسمية معلنة، وهناك أهداف خفية مضمرة، وتتمثل الأهداف المعلنة في قضايا إعداد الإنسان الحر المتكامل، والإنسان الصالح، وإعداد الإنسان للدفاع عن الوطن، وغير ذلك من أهداف مرسومة في لوائح تربوية وسياسية تحدد للتربية مسارها المعلن، وللأنظمة التربوية القائمة غاياتها المحددة.

ولكن الأهداف التربوية المضمرة غالبا ما توضع لخدمة النظام السياسي والاجتماعي القائم، حيث تكمن وظيفتها في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي، والضبط الأخلاقي والهيمنة الإيديولوجية، وبت القيم الطبقية وغرس الطاعة والولاء والانضباط في نفوس المتعلمين، ويمكن الإشارة إلى جملة من الأهداف التي ترسخ معالم المنهاج الخفي:

1. تمجيد رموز السلطة في مختلف المستويات.
2. التأكيد على قيم الطاعة والخضوع للحكام للطبقة المهيمنة.

¹⁰ المرجع نفسه

محاضرات في مقياس سوسيوولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

3. توظيف الطاقة الرمزية في تمجيد السلطة (الصورة، الفيديو، الأفلام، المقالات، الخطب التربوية)

4. التأكيد على نمط الخضوع الهرمي بين المعلمين والمتعلمين والإدارة.

5. توظيف المنهاج والخطاب الرسمي لتمجيد الحاكم.

6. توظيف الإمكانيات المدرسية من أجل قتل قيم التحرر والتمرد والثورة والروح النقدية.

7. اعتماد طرق التلقين في التدريس والتعليم بوصفها أكثر الطرق فعالية في قتل العقل والتفكير وروح النقد، وبناء روح المذلة والاستكانة والانقياد في نفوس المتعلمين.

ويمكن القول أن أي نظام سياسي يبدع في ابتكار أساليب ووسائل تكون قادرة على قتل البعد النافي في المتعلم والحجر على إمكانياته العقلية والنقدية والإبداعية. وأخيراً :

إن المنهاج الخفي حقيقة تربوية لا يستطيع أحد إنكارها أو إلغائها تأثيرها الإيجابي والسلبي في سلوكيات التلاميذ، وهذا يحتم علينا بوصفنا تربويين أن نوجه هذا المنهج توجيهاً سليماً لتكون آثاره وثماره إيجابية تظهر في سلوكيات تلاميذنا ومستوياتهم الدراسية.

لأن مجال تأثير المنهاج الرسمي في المتعلم أضيق دائرة، بينما تأثير المنهاج الخفي في المتعلم أوسع. من هنا ينبغي على المدرسة أن تأخذ هذه النتيجة بعين الاعتبار، فتبنى لنفسها منظومة من القيم الإيجابية، التي تعمل على إكسابها لأبنائنا، من خلال توظيف المنهاج الخفي، وتنبيه المعلمين إلى أن أقوالهم وسلوكياتهم وأفكارهم تفرز مجموعة من الخبرات الخفية التي قد تحمل السوء والجيد للمتعلم حاضراً ومستقبلاً.

محاضرات في مقياس سوسيولوجية المؤسسة التربوية د. تالي جمال

المراجع المعتمدة:

1. علي اسعد وطفة: الرسائل الصامتة في المدرسة قراءة ايديولوجية في الوظيفة التطبيقية للمنهاج الخفي، المجلة التربوية، العدد 94، مارس 2010، الكويت.
 2. فائزة العزاوي: المنهاج الخفي فلسفته وتطبيقاته التربوية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 19 جامعة بغداد العراق، www.iasj.net
 3. اكرم عبد القادر ابواسماعيل: المنهاج الخفي في التعليم الالكتروني، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، العدد 13 جامعة الشلف، https://www.univ-chlef.dz/RATSH/la_revue_N_13/Article_Revue_Academique
 4. أماني حامد مرغني - كلية التربية - جامعة أسيوط - جمهورية مصر العربية كلية التربية للمعلمات - جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية.
- كما يمكنكم العودة للدراسات العربية التي أجريت حول الموضوع وهي ثرية بمناقشاتها للموضوع في علاقته بعدة متغيرات.